

قصر في الوعي أم تقصير في الأداء

فاديا جبريل

رئيسة التحرير

أين نحن من العالم؟ وماذا ينقصنا لتكون في مصاف الدول العريقة حضارة وشعباً؟ ونحن نملك مقومات هذا الحضور من آثار عريقة لحضارات متعاقبة وتاريخ امتدت تأثيراته لتشمل أرجاء العالم، عدا عن كون سورية مهد الديانات السماوية، بالإضافة إلى الطقس الذي حيانا الله به من اعتدال... نملك البحر والجبل، ونملك الغابات والصحراء، فماذا نريد أكثر من ذلك؟ أنتظر معجزة لتحقق لنا هذا الحضور؟! فالتقصير هو سيد الموقف.. ما نحتاج إليه ببساطة هو، تواجد إعلامي فاعل في العواصم الغربية، ومن البديهي أن ذلك سيساعدنا ليس في مجال السياحة فقط، بل في مجال السياسة أيضاً، إذ أن هناك أغلبية ساحقة لا تعرف شيئاً عن سورية وثقافتها وحضارتها، وما تملكه من موقع جغرافي وإقليمي مميز وهام على كافة الأصعدة. أما الذي يعرف شيئاً عن سورية فهو يعرفها بنظر أعدائها، الذين يعملون ليلاً نهاراً دون كلل أو ملل لتشويه صورتها الحضارية، ولو كان بإمكانهم إنكار وجودها الحضاري لفعّلوا ذلك مع غياب الرد المضاد لتلك الهجمات وكأنهم -أي أعداء سورية- يلعبون في فضاء رحب وبلا منازع.. أو كأن الأمر لا يعنيننا.

يعرفونها بعيدة كل البعد عن الحضارة الإنسانية، فلا أحد يقوم بدوره كما يجب أن يكون، وإليكم أعزائي القراء هذه الحادثة البسيطة التي تحمل مدلولات واضحة تبين لماذا نحن خارج الدائرة التي وضعتنا القدرة الإلهية في مركزها ونحاول السياحة خارجها، لماذا؟ لا أعرف لا بل أعرف، ولكن لا أفتنع. نشر أحدهم في صحيفة أوروبية كلاماً قاسياً عن سورية، كلاماً تشويهيّاً لموطن الأبجدية الأول، كلاماً يمس تاريخها القديم والمعاصر، فتحمس أحد المغتربين لدى قراءته لتلك المقالة التي أشعلت في نفسه الغيرة على بلده وعلى نفسه كونه سورياً وتمسّه بالدرجة الأولى، أخذه الحماس وقصد السفارة يريد أن يناقش مع السفير تلك المقالة، واضعاً نفسه ومن معه من المغتربين السوريين في خدمة الوطن مع استعداد تام لتحمل مسؤولياتهم المادية والمعنوية، فكان الرد صادمًا وفجأً قاتلاً له حرفياً: يا حباب.. يا غيور.. تزج السفير في يوم عطلة الأحد لتقول له هذا الكلام السخيف.. ظننت أن القيامة قامت... مع احترامي لمقام هذا السفير، ما الذي يمكن أن يحدث أكبر من أن يشهر البعض ببلدك وأنت من تمثله في بلاد الاغتراب؟ يحدث ذلك وأنت تغط في نوم عميق، ليس فقط في يوم عطلتك وإنما في باقي أيام الأسبوع والدليل أنك لم تأخذ موقفاً ولم تسع حتى للرد على تلك الصحيفة.. هل يجب أن نفهم أن عمل القائمين في السفارة مقتصر على البروتوكولات وحضور الولائم والمناسبات الخاصة؟! وهنا يمكنني أن أخمن الرد لذلك السفير المسؤول مع تأكيدي أن الأمر لا يحتاج إلى قرار من جهة ما ولا إلى ميزانية خاصة، وإنما يحتاج إلى الضمير الحي، وإقراري بأن الأمر وإن سخفه أحدهم محاولاً الهروب من المسؤولية، فهو ليس كذلك، فموقف تلو الآخر تتكون نظرة عامة، وعندئذ نحتاج ضعف الوقت الذي مضى لتصحيح ما أسسنا له طوعاً وإهمالاً وبملاء إرادتنا.

والمعلوم أن معيار تفوق الأمم في أيامنا الحالية هو التفوق الإعلامي الصرف.